نظرية المعرفة عند فلاسفة القرون الوسطى الغربية
(نماذج ممثلة)

أ. نانسى أمير توفيق مرقص
باحثة دكتوراه
في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى
بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

احتلت نظرية المعرفة - الإبستمولوجيا (Epstiro l ogy) أو نظرية المعرفة العلمية حيزاً هاماً فى تاريخ الفكر الفلسفى فى عصوره المختلفة لما لها من أهمية بالغة ميتافيزيقياً وفلسفياً. وهى إحدى المباحث الكبرى في الفلسفة التي تدرس الطبيعة والشروط التى تشكل المعرفة الإنسانية.

فالفلسفة لطالما كانت سعياً وبحثاً دؤوباً ومستمراً وراء الحقيقة والمعرفة بكافة أشكالها وصورها المختلفة، فالغاية الأساسية من الفلسفة كانت ولا تزال هى السعى لاكتشاف الحقيقة ومعرفتها معرفة يقينية مطلقة. فكانت نظرية المعرفة هى الشغل الشاغل للعديد من الفلاسفة والمفكرين الكبار فى مختلف العصور قديماً، ووسطياً، وحديثاً.

وشكلت نظرية المعرفة محوراً أساسياً فى تاريخ الفكر الفلسفى بصفة خاصة والتاريخ الإنسانى بصفة عامة فهى تعد تعبيراً عن رغبة الإنسان العميقة فى استكشاف ومعرفة نفسه والوجود من حوله فلدينا الرغبة الدفينة والنهم البشرى فى فهم كل ما حولنا من أشياء ووقائع وأحداث، فحاول الإنسان منذ القدم البحث عن إجابات شافية لكل ما يؤرقه من أسئلة وموضوعات تمثل تحدياً وغموضاً بالنسبة له، وترضى عقله ورغبته الفطرية فى العلم والمعرفة بكل ما يجهله ويعصى عليه.

فالمعرفة أهم وأسمى الوظائف الإنسانية شأناً بالنسبة إلى الإنسان باعتباره كائناً عاقلاً مفكراً فى المقام الأول.

فتعددت واختلفت الآراء و والمدارس والمذاهب الفكرية والفلسفية فعكف أصحابها على تحليل ودراسة المعرفة الإنسانية من كافة جوانبها : من حيث ماهيتها، وطبيعتها، وسبل الحصول عليها واكتسابها، وامكاناتها، وحدودها بمعنى هل للمعرفة حدود أم أنها ممكنة على اتساعها بلا حدود أمام الإنسان ؟

كما أن البحث فى إمكان المعرفة يتضمن النظر فى إمكان الوجود أو العجز عن معرفته، وفيما إذا كان فى وسع الإنسان عن طريق العلوم المختلفة أن يدرك الحقائق اليقينية وأن يطمئن إلى صدق إدراكه وصحة معارفه، أم أن قدرته على معرفة الأشياء مثار للشك وعدم اليقين. والبحث فى مصادر المعرفة يتعرض للنظر فى منابعها وأدواتها ومناهج البحث فيها المنهجية ومدى مقدرة هذه المناهج على ضمان سلامة التحصيل المعرفي. وهي تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية : ما المعرفة ؟ كيف يمكن إمتلاك المعرفة ؟ وما مدى المعرفة بموضوع ما ؟ ويركز البحث والنقاش في هذا المجال على تحليل طبيعة المعرفة ومدى ارتباطها بمفاهيم : الحقيقة، والإيمان، والتبرير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان السؤال الأساسى الذى اهتم الفلاسفة بالبحث فيه ودراسته هو كيفية الحصول على المعرفة الإنسانية وطرق اكتسابها فهل نحصل عليها بواسطة العقل ؟ أم بواسطة الحواس الخمس ؟ أم من خلال الحدس الإنسانى (Human Intuition) ؟ أم أن المعرفة تأتى بنوع معين من الإشراق أو الإلهام بمثابة نور إلهى ربانى يقذفه الله فى العقل ليستنير من خلاله بواسطة الله ذاته بدون أية وسائط ؟

وتلك هى نظرية (الإشراق) أو الإشعاع الإلهى التى قال بها القديس أوغسطين الأفلاطونى النزعة فى العصر الوسيط الذى ربط بين الإيمان الدينى واللاهوت والمعرفة العلمية الإنسانية فقال : (أنى أؤمن لكى افهم) أو نظرية (العرفان) لدى المتصوفة المسلمين.

والقديس توما الإكوينى الأرسطى النزعة الذى وضع العقل فى المرتبة الأولى فى تحصيل المعارف العلمية فقال : (أعقل لكى اؤمن).

ونجد أن الفلاسفة التجريبيين يردون المعرفة إلى الحواس، أما العقليين فيؤكدون أن بعض المبادئ مصدرها العقل لا الخبرة الحسية، وعن طبيعة المعرفة يقول الفلاسفة الواقعيون أن موضوعها مستقل عن الذات العارفة، ويؤكد المثاليون أن ذلك الموضوع عقلى في طبيعته لأن الذات لا تدرك الا الأفكار. وكذلك تختلف المذاهب الفكرية في مدى وإتساع المعرفة : فمنها ما يقول أن العقل يدرك المعرفة اليقينية، ومنها ما يجعل المعرفة كلها إحتمالية، وما يجعل معرفة العالم مستحيلة تماماً.

ويعرفها لالاند في معجمه الفلسفي بأنها فلسفة العلوم، وهي تختلف بهذا عن الدراسة الوصفية لمناهج العلوم الميثودولوجيا كما أنها ليست حدساً للقوانين العلمية لأن الإبستمولوجيا تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أساسها المنطقي لا النفسي وبيان قيمتها الموضوعية.

معظم الجدل والنقاش في هذا الفرع الفلسفي يدور حول تحليل طبيعة المعرفة وشروط بنائها وإرتباطها بالترميزات والمصطلحات مثل ;(الحقيقة، والإعتقاد، والتعليل، والتبرير) تدرس نظرية المعرفة أيضا وسائل إنتاج المعرفة، كما تهتم بالشكوك حول إدعاءات المعرفة المختلفة. بكلمات أخرى تحاول نظرية المعرفة أن تجيب عن الأسئلة التالية : "ماهي المعرفة ؟" و"كيف يتم الحصول على تلك المعرفة ؟".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إشكالية الدراسة :

تكمن إشكالية هذه الدراسة فى محاولة التعرف على طبيعة نظرية المعرفة ووسائلها وحدودها لدى الفلاسفة الغربيين فى العصر الوسيط. وذلك من خلال إستعراض عدة نماذج لأهم الفلاسفة فى تلك الفترة.

١ – القديس أوغسطين.
٢ - القديس بونافنتورا.
٣ - القديس أنسلم.
٤ - القديس توما الإكوينى.

خطة الدراسة : تتكون هذه الدراسة من أربعة مباحث كالتالى :

المبحث الأول بعنوان : نظرية المعرفة لدى القديس أوغسطين.

المبحث الثانى بعنوان : نظرية المعرفة لدى القديس بونافنتورا.

المبحث الثالث بعنوان : نظرية المعرفة لدى القديس أنسلم.

المبحث الرابع بعنوان : نظرية المعرفة لدى القديس توما الإكوينى.

منهج الدراسة :

استخدمت فى هذه الدراسة منهجاً تاريخياً تحليلياً حيث أنه يلائم موضوع الدراسة.

نظرية المعرفة :

هى البحث فى طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها. وهى تختلف عن السيكولوجيا التى تقتصر على وصف العمليات العقلية، وتمييزها بعضها عن بعض، دون الفحص عن صحتها أو فسادها. وهى تختلف أيضاً عن المنطق الذى يقتصر على صياغة القواعد المتعلقة بتطبيق المبادئ العامة دون البحث فى أصلها وقيمتها.

وقيل أن نظرية المعرفة هى قسم من علم النفس النظرى الذى يصعب فيه الإستغناء عن علم ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) وذلك لأن غرضه هو البحث عن المبادئ التى يفترضها الفكر متقدمة على الفكر نفسه. ومعنى ذلك أن نظرية المعرفة هى البحث فى المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة بين الذات المدركة والموضوع المدرك، أو بين العارف والمعروف. وأقدم صور هذه النظرية بحث الفلاسفة عن درجة التشابه بين التصور الذهنى والشئ الخارجى، ولكن هذه الصورة الحديثة ترجع كالصورة القديمة إلى البحث فى قيمة العلم، أى فى قيمة التصور والتصديق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذلك فنظرية المعرفة هى البحث فى قيمة المعرفة وحدودها.[١]

والأبستمولوجيا دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروضها ونتائجها وتهدف إلى تحديد أصلها المنطقى وقيمتها الموضوعية. ويقول رونز : ((الأبستمولوجيا هى أحد فروع الفلسفة الذى يبحث فى أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها)). [٢]

ويعرفها (أندريه لالاند) : المعرفة (Connaissance) هى مثول موضوع فكرى معين، حقيقى وواقعى، أمام العقل، وهذا الموضوع يمكن أن يكون شيئاً آخر غير العقل، أو العقل ذاته أو إحدى خواصه أو أفعاله، لكن بشرط أن ينظر إلى هذا الموضوع بصفته معروفاً، معلوماً ومتمايزاً شكلياً على الأقل من الفكر الذى يعرفه. [٣]

وكانت المعرفة فى الماضى تستقبل بإعتبارها قيمة وذلك بمعنى (القيمة المطلقة) نظراً لأهميتها ومكانتها بالنسبة إلى الإنسان، فالإنسان يحتاج إلى المعرفة ويسعى للحصول عليها لإرضاء رغبته بها واحتياجاته للعلم مثل الميل إلى معرفة الألوهية وطبيعتها، والجمال، والحقيقة.

فقيمة تلك الأشياء تختلف عن الأشياء الأخرى فنحن نشعر بأنه يجب علينا أن نفضل الخير والجمال والحق على الشر والقبح والزيف. [٤]

---

(١) – جميل صليبا , المعجم الفلسفى , ج٢ , دار الكتاب اللبناني , بيروت , لبنان , ١٩٨٢م , ص ص٤٧٨, ٤٧٩.
(٢) – إبراهيم مدكور , المعجم الفلسفى , الهيئة المصرية العامة , القاهرة , ١٩٨٣م , ص١.
(٣) – أندريه لالاند , الموسوعة الفلسفية , ترجمة : خليل أحمد خليل , ط١ , منشورات عويدات , بيروت , باريس , ١٩٩٦م , ص٢٠٨.
(4) –W. T. Stace , The Theory Of Knowledge And Existence , Clarendon Press , Oxford , 1932 , PP ; 2-3.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً : نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين(*) :

تحتل مشكلة المعرفة أهمية كبرى لدى القديس أوغسطين بصفة خاصة وذلك لإرتباطها بعلاقة لا تنفصل مع الله ذاته فحياته وفلسفته بأكملها عبارة عن رحلة بحث عن اليقين، وعن الحقيقة. (١)

ومن ثم بدأ بحثه عن الحقيقة بالبحث فى (إمكان الحقيقة) وكتب أول كتبه الفلسفية (ضد الأكاديميين)، أى ضد الشكاك وعارضهم فى نقدهم للمعرفة الحسية وذلك لقولهم بأن الحواس خداعة وأن أحوال الأحلام والهلوسة تستوجب منا عدم الثقة بكل ما يظهره الحس امامنا ولكن القديس أوغسطين وجد أن هذا البحث يقتضى منا معرفة منهج البحث أولاً أو معرفة الطريق الذى نستطيع من خلاله الوصول إلى إكتشاف الحقائق فوجد هذا الطريق لدى الأفلاطونيين المحدثين، وهو الوجدان (Intuition) أى المعرفة المباشرة العيانية.

وعلينا أن نبدأ بالبحث عن المعرفة بالذات ومن خلال اكتشافه للذات يصل إلى الحقيقة والمنهج الذى يثبت به إمكان هذه الحقيقة، والطريق الموصل إليها.

وهذه النقطة الأرخيميدية كانت هى نقطة البدء فى تفكير ديكارت (Descartes) والتى اعتبر على أساسها مؤسس الفلسفة الحديثة فبدأ بالفكر لكى يصل إلى الوجود مثله مثل القديس أوغسطين. ومن هنا تظهر لنا أهمية أوغسطين. فرأى أن الناس جميعاً يشكون. وأن الشك حقيقة يقينية وترتبط بها حقائق أخرى هى : الحياة، والتذكر، والعلم، والحكم، والإرادة. وهذا يعنى أن هناك ذاتاً هى التى تشك، وتقوم بكافة العمليات النفسية. ونكون بذلك وصلنا إلى إثبات وجود الذات. ونجد إن المعرفة المباشرة أو الوجدان هو الذى يجعلنا نقول إن هذه الأشياء حقيقية لأنه يجعلنا نتصل بالحقائق مباشرة. (٢)

(*) – (Saint Augustine Of Hippo;) , (٣٥٤م - ٤٣٠م) هو أوراليوس أوغسطينوس أشهر آباء الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية , ويعتبر قمة الفلسفة المسيحية فى عصر آباء الكنيسة , كما يعتبر عمله الجامع لكل أعمال آباء الكنيسة اليونان واللاتين على حد السواء. ولد فى تاغست (Tagaste) فى شرق الجزائر , درس النحو , والفنون الحرة , والخطابة. وكان مانوياً فى بداية حياته وشغلته طوال حياته مشكلة الخير والشر ومن أين أتى الشر. وكانت النقطة الفارقة فى حياته هى فى تحوله للأفلاطونية المحدثة , وآمن بالمسيحية فى عام ٣٨٧م على يد القديس أمبروسيوس أسقف ميلانو. وكتب العديد من المؤلفات الهامة منها : الإعترافات - المناجيات – خلود النفس – ضد الأكاديميين – مدينة الله – فى التثليث. وأصبح أسقفاً لهيبون حتى نهاية حياته فى عام ٤٣٠م.
انظر : عبد الرحمن بدوى , موسوعة الفلسفة , ج١ , ط١ , المؤسسة العربية , بيروت , لبنان , ١٩٨٤م , ص ص٢٤٧ -٢٤٨.
و أيضاً : حسن حنفى , نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط , ط٢ , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة , ١٩٧٨م , ص٢١٠.

(١) – على زيعور , أوغسطينوس مع مقدمات فى العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية , ط١ , دار إقرأ , بيروت , لبنان , ١٩٨٣م , ص٢٠٧.

(٢) - عبد الرحمن بدوى , فلسفة العصور الوسطى , ط ٣ , دار القلم , بيروت , لبنان , ١٩٧٩ م , ص ص ٢٢, ٢٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونحن نعترف بالكثير من الأشياء والقصص بحذافيرها كما أخبرنا بها الأنبياء فى هذا الزمان نعترف بها من خلال التسليم عن إيمان وليس عن علم، فهناك فرق بين الإيمان وبين العلم.

فيقول النبى إشعياء : ((إن لم تؤمنوا فلن تعقلوا)). (أش٧ :٦).

وذلك دليل على الفرق بين الإيمان والتعقل. فإنى أؤمن بما أعقل، ولكنى لا أعقل كل ما أؤمن به. وذلك لا يعنى جهلى بفائدة الإيمان بأشياء كثيرة لا أعلمها. ولأنى أعلم أنى لا أستطيع معرفة معظم الأشياء فأنى أعلم – عن حق – فائدة الإيمان. [١]

يرى القديس أوغسطين أن النفس تصل إلى إدراك الحقائق من خلال الإشراق الباطن من الله على النفس. ويشبه إدراك النفس بإدراك العين للأجسام فكما أنه لكى تبصر العين الأجسام لابد لها من النور، كذلك النفس فى إدراكها للحقائق لابد لها من إشراق نور عليها.

وكما أن الشمس هى مصدر النور المادى الذى يجعل الأجسام مرئية، فإن الله هو مصدر النور الذى يجعل الحقائق العقلية مبصرة بالنسبة إلى العقل. فالله بالنسبة إلى عقلنا كالشمس بالنسبة إلى بصرنا، وكما أن الشمس هى مصدر النور، كذلك فأن الله هو مصدر الحقيقة.

وتأتى الصعوبة بعد ذلك من معرفة نصيب الإنسان ونصيب الله من المعرفة. إن العقل الإنساني، بإشراق من الله، يستطيع أن يبلغ معرفة صحيحة للأشياء التى يدركها بالحواس. فهناك تعاون ضرورى بين العقل الإنسانى، والحواس، والإشراق الإلهى، من أجل معرفة الحقائق.

لكن القديس أوغسطين لا يزيدنا إيضاحاً فى هذه النقطة : فلا هو يقول مع أفلاطون، أن المعرفة تذكر، بمناسبة المحسوسات، للصور، ولا هو يقول مع أرسطو أن المعرفة تجريد للتصورات من المحسوسات، ولا هو يتحدث عن عقل فعال على نحو ما سيفعل الفلاسفة المسلمون وفى اثرهم القديس توما الإكوينى.[٢]

ويذهب القديس أوغسطين إلى أننا نعقل الأشياء ولا نرجع فى ذلك إلى كلام يطنطن من الخارج ولكننا نستند فى ذلك إلى حقيقة حاضرة داخل النفس. فنرجع إلى المعلم المستقر فى الإنسان الباطنى الداخلى، وهو السيد المسيح – أى قوة الله الدائمة

---

(١) – حسن حنفى , مرجع سابق , ص٩٠.
(٢) – عبد الرحمن بدوى , موسوعة الفلسفة , ج١ , ص ص ٢٥٠- ٢٥١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(Deivirtus) والحكمة الخالدة (Sempiterna Sapientia) التى ترجع إليه كل نفس ناطقة ولكنه لا ينكشف لها إلا بحسب قدرتها وإرادتها الحسنة أو السيئة، ونلاحظ أن خطأ أحدهما ليس خطأ الحقيقة التى يرجع إليها، ذلك أن النور الخارجى لا يخطئ ولكن أعيننا الحسية (Corporei) هى التى تخطئ، وهذا النور الذى يرشدنا إلى الأشياء المرئية بقدر ما نستطيع التمييز بينها.

فهناك أشياء ندركها بحواس الجسم (محسوسة) مادية أو ندركها بالنفس (معقولة)، وبلغة آباء الكنيسة، نقول أن الموضوعات الأولى جسدية (Carnalia) والموضوعات الثانية روحية (Spirtualia). (١)

يرى القديس أوغسطين أن الأفكار التى لها قيمة مطلقة مثل : فكرة الله – النفس – الخير – الشر – الجمال – الوجود – المبدأ الأول. لا يمكن أن تكون نتيجة للمجهود البشرى، ولكنها بالأحرى أعطت لنا بواسطة الإشراق الإلهى. فضعف العقل الإنسانى هو سبب مد الله لنا بنوره الإلهى لمساعدتنا حتى نستطيع أن نصل إلى معرفة تلك الأفكار. (٢)

ولكن كيف ينتقل الإنسان من عالمه الذاتى الداخلى إلى الذوات الأخرى والأشياء الخارجية فى العالم الخارجى من حوله ؟ وللوصول إلى إجابة هذا التساؤل يستعين القديس أوغسطين بالأفلاطونية المحدثة فنراه يفرق بين عالمين : العالم الحسى، والعالم العقلى.

فالعالم الحسى له حقيقة ووجوداً وله أهمية فى عملية اكتشاف المعرفة. ولكنه رأى أنه غير كاف، وذلك بسبب أن المعرفة الحسية تؤدى فقط إلى الإيمان وليس إلى العلم. وهو بذلك يتفق مع الفلاسفة الأفلاطونيين المحدثون والقدماء. أما المعرفة المؤدية إلى العلم فهى معرفة الحقائق الأزلية الأبدية. وهى موجودة بطبيعتها فى النفس الإنسانية. ويستطيع الإنسان الوصول إليها بواسطة نفس الطريق التى تؤدى إلى إثبات الحقائق والذات.

وهذه الحقائق الأزلية، هى حقائق العلم والمنطق والعلوم الحرة والرياضة. وحين كان القديس أوغسطين معتنقاً للمانوية أدت الحقائق الرياضية به إلى الشك، وهى الآن ستعطيه المقياس الحقيقى للمعرفة. وهذه الحقائق الأزلية الأبدية لا يمكن استخلاصها من الحس، لأنها مفترقة عنه.

ويقول القديس أوغسطين فى ذلك : (لقد رأيت خطوطاً قد رسمت كأحسن ما يكون، ولكنى لم استطع ادراك خطوط كالهندسة من الأشياء الحسية). (٣)

---

(١) – حسن حنفى , مرجع سابق , ص ص٩١, ٩٢.

(2) – Battista Mondin S. X. ,St , Thomas Aquinas s Philosophy ; In The Commentary To The Sentences , Martins Nijhoff , U. S. A. , 1975 , Shapter III.

(١) – عبد الرحمن بدوى , مرجع سابق , ص٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا سألنا أحدًا عن الموضوعات المحسوسة إذا كانت واقعة فـــى مجـــال إدراكنـــا (Sentimus) فلن يصدقنا إن لم يرى هو بنفسه، فلن يعلم شيئاً مـــن الكلمـــات المنطوقـــة ولكنه سيعلم حتماً من الأشياء نفسها التى أدركها بحواسه، وللكلمات نفس الصوت عند من يرى ومن لا يرى فالسائل سيتعلم من الأشياء التى يختبرها بنفسه ويتعرف عليها بفـــضل الصور الذهنية التى لديه، وليس من الكلمات.

وأما ما ندركه (Consipicimus) بالنفس أى بالذهن والعقل فـــإن كلماتنـــا تعبـــر بالتأكيد عما نتأمله حاضراً فى نور الحقيقة الداخلى الذى يغمر إنساننا الداخلى، وإذا تمكن من يسمعنا من رؤية الأشياء نفسها بالعين الباطنة البسيطة، فأنه يفهم من خلال تأمـــل مـــا نقوله وليس بكلماتنا. لذلك فنحن لا نعلمه شيئاً عندما نقول له الحقيقة التى يراها، فلا يتعلم من كلماتنا بل من الأشياء نفسها التى يكشفها الله فى باطنه، ويـــستطيع الإجابـــة إذا ســـئل عنها. وذلك تناقض لأنه يعتقد أنه يتعلم بلغتى وهو يستطيع أن يخبرنى بما أقوله قبـــل أن أتفوه به. (١)

والله هو الحقيقة الوحيدة الكاملة والخلاص الوحيد، الماهية العليا والأولى التى يكون بها كل موجود موجوداً فالله هو الحقيقة ذاتها. الحقيقة الخالدة خالق كل الموجودات، وهـــو الخير الدائم والمطلق والوحيد الذى ينطبق عليه معنى الوجود والحقيقة الكاملة والمعقولـــة والضرورية، مبدأكل معرفة وكل وجود، إنه المعلم الداخلى الباطنى الوحيـــد الـــذى ينيـــر النفوس ويجعلها تدخل إلى أعماقنا وتتعرف عليها.

ولا يعترف القديس أوغسطين بمعلم إنسانى خارجى، ولكن النفس تعـــرف الحقيقـــة بفضل معلمها الداخلى، الحكمة الأبدية لله وكلمته الخالدة الذى هو السيد المسيح، فتستشيره كل نفس عاقلة، فنحن نحتاج إلى النور لرؤية الأشياء الحسية وذلك بشرط أن تتوفر لـــدينا القدرة على الرؤية. (٢)

ويلقى الضوء على مصدر القدرة المعرفية التى يعيد العقل اكتشافها تدريجياً والتـــى تتحقق من خلال الإيمان بالله. لذلك فإن الإشراق ليس شكلاً أو نوعاً من النشاط الفكـــرى العقلى الخارجى المشروط. ونجد أن السياق اللاهوتى فى كتابه (فـــى الثـــالوث) لنظريـــة الإشراق يعتبر ادنى حالة الثالوث باعتبار أن الإشراق عملاً بيداغوجياً يهدف إلى تـــسهيل الجهود العقلية وتهيئة العقول لفهم الإيمان المسيحى. (٣)

---

(٢) – حسن حنفى مرجع سابق , ص ص٩٢ ,٩٣.
(٣) - أوغسطين , المعلم , ترجمة , حسن حنفى , دار التنوير , بيروت , لبنان , ١٩٨١م , ص٩١.
(3) – Lydia Schumacher , Divine Illumination : The History And Future Of Augustine s Theory Of Knowledge , Wiley Blackwell , U. S. A. , 2011 , PP : 18-19.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقول القديس أوغسطين كما قال أفلاطون قديماً إن الحسيات مجرد نسخة مشوهة للحقائق الأبدية وهى تنزع نحو الكمال المتحقق فى الحقائق الأبدية. مما يقودنا إلى تساؤل هام هو هل المعرفة الحسية مختلفة تماماً عن معرفة الحقائق الأزلية الأبدية وهل هناك هوة بين العالمين ؟ ويجيبنا أفلاطون بأن الحس ضرورى لأنه يدفعنا ويحثنا على إدراك الحقائق الأبدية، وهذه ضرورية بالنسبة إلى الحس لأنه بمثابة المقياس الذى نعرف من خلاله حقيقة المعارف الحسية.

فالمعرفة الحسية والعقلية، أو معرفة الحقائق الأزلية الأبدية، متضامنتان معاً فى الإدراك، ولا غنى بأحدهما عن الآخر. ويرجع ذلك إلى أن الأثنين أمر واحد. وهنا نجد مشكلة أخرى، وهى الإتفاق الموجود فى الحقائق الأزلية بإعتبارها مشتركة بين جميع الأفراد. فهى حقائق مشتركة. فمن أين أتى هذا الإشتراك ؟

وهنا يفرق القديس أوغسطين بين نوعين من الوقائع :

(١) – الوقائع النفسية.

(٢) – الوقائع المنطقية أو الميتافيزيقية.

فنلاحظ أنه من الناحية النفسية فأن طريقة الإدراك مختلفة بالنسبة إلى الأفراد. أما من الناحية المنطقية أو الميتافيزيقية فنجد أن موضوع الإدراك واحد. والحقائق تبعاً لذلك أزلية أبدية لا تخضع للأفراد، ولا لعوامل الزمان. [١]

وتشمل المعرفة على نوعين من المدركات :

(١) – مدركات مادية :

تنشأ من انتباه النفس للتغيرات الحادثة فى الجسم، وهى تغيرات جسمية مادية بحتة، يعقبها الإدراك الذى هو فعل للنفس لأن إنفعال الجسم ليس له تأثير فى النفس لأن الأدنى لا يؤثر فى الأعلى، والإنفعال نداء من الجسم للنفس وهى حاضرة فى الجسم لتكفل حسن تدبيره. ويرى القديس أوغسطين أن الإحساس ليس فعل جسميًا ولكنه فكر.

(٢) – مدركات معنوية :

مثل الله والنفس والملائكة، والأحكام التى نصدرها على الماديات والروحيات، والموجودات الروحية نعرفها بواسطة الاستدلال.

---

(٢) - عبد الرحمن بدوى , مرجع سابق , ص٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويذهب إلى أن الحكم الكلى يصدر عنا بفضل إشراق من الله، فالله هو المعلم الباطن وهو (النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آت إلى العالم) كما يقول القديس يوحنا اللاهوتى فى مقدمة بشارته، وبذلك نعود ثانية إلى الوحى المقدس الذى صدرنا عنه. ويرى أن هذه الآية تبدو مقدمة ونتيجة فى نفس الوقت ولكن من جهتين مختلفتين : فهى مقدمة مسلمة بالإيمان، ونتيجة مبرهنة بالعقل، وهذه هى نظرية الإشراق أو الإشعاع.

ويقول القديس أوغسطين : (كما أننا نرى الماديات فى ضوء الشمس، فكذلك خلقت النفس الناطقة بحيث تستطيع أن ترى المعقولات فى ضوء لا جسمى يشرق عليها).

و : (إن الله مرئى لنا أكثر من مصنوعاته المادية). وأيضاً : (إن الله هو شمس النفس).

ويرى القديس أوغسطين أن الإشراق لا يغنى النفس عن الإلتفات إلى الجسم، وأن الفاقد حاسة فاقد المعارف المقابلة لها، وأن الملائكة هم الذين يدركون الماديات فى الله مباشرة، لأن النور الإلهى شئ مخلوق متمايز من الله ومن النفس، كما أن نور الشمس متمايز من العين : هو مدد أو مشاركة فى العلم الإلهى، إذ أن نور عقلنا مستفاد كما أن وجودنا أيضاً مستفاد. (١)

المعرفة هى تذكر إشراقى يقوم على تذكر الحاضر، فالتذكر لدى القديس أوغسطين هو نتيجة للتأملات الشخصية على الذاكرة بحيث تجد فيها فكرة الله بفضل النور الإلهى الذى ينير نفوسنا من الداخل. وليس من خلال التذكر الأفلاطونى الذى يقوم على تذكر المثل القائمة فى النفس من قبل فى وجودها السابق. (٢)

ولكن ماهو مصدر الحقائق الأبدية التى نجدها فى نفوسنا ؟ وبما أن هذه الحقائق موجودة فى الذات، فهى ليست موضوع الذات، وذلك لأن المعلول لا يمكن أن يحتوى أكثر من علته، ولا أن يساوى علته. ولأن النفس فانية، فلا يمكن أن تكون هى علة الحقائق الموجودة بها، بل لابد أن يكون هناك مصدر آخر هو الذى يضع هذه الحقائق داخل الذات الإنسانية.

ولإكتشاف مصدر هذه الحقائق يستعين القديس أوغسطين بأفلاطونيته المحدثة فيلجأ إلى نظرية الإشراق، أو الإشعاع. فيقول : ((إن هناك نوراً أزلياً أبدياً هو الشمس الذى

---

(١) – يوسف كرم , تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط , مؤسسة هنداوى , القاهرة , ٢٠١٤م , ص ص٣٨, ٣٩.

(٢) – على زيعور , أوغسطين , مرجع سابق , ص١٩٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نستطيع من خلالها أن ندرك الحقائق. وهذه الحقائق الموجودة فى النفس هى فيض من النور الأول، وهو الله. أو اللوجوس (Logos) أو كلمة الله)).

ولهذا وجد ان الاتفاق تام وكامل بين الأفلاطونية وبين المسيحية. والخلاصة ان الحقائق الموجودة فى النفس هى من فيض الله، وهى تؤكد وجود شئ هو المحدث لها. فنجد أن نظرية المعرفة تقودنا إلى نظرية الله. ونلاحظ التشابه الكبير بين ديكارت وبين القديس أوغسطين. فديكارت وصل إلى الذات من خلال الحقائق المودعة فى الذات. وكذلك فعل أيضاً أوغسطين. كما جعل ديكارت الضمان لهذه الحقائق هو الله ذاته، وكذلك فعل القديس أوغسطين. (١)

وتقوم المعرفة عنده على أساس أخلاقى ولاهوتى فى نفس الوقت. ويعرف المعرفة على إنها حين يصبح الموضوع اكثر توسعا وانتشاراً أنطولوجياً وأخلاقياً، ويقول ان الله هو الحياة والحركة والوجود بأكمله وهو الحقيقة كما أنه الخير والنور. فالله هو أساس قدرتنا على المعرفة والحب وهو اقرب إلينا من أنفسنا، وهو معروف لأنفسنا أكثر مما نعرفها نحن والذى به وحده نجد فيه وبه السعادة والراحة والحكمة والحياة الأبدية على حد السواء. فكل من الذاكرة والمعرفة والمحبة وكل ما يتبع ذلك وهبنا الله اياه كوسيلة او اداة حتى يعدنا لمعرفته. (٢)

عارض القديس أوغسطين الرواقيين الذين جعلوا الخير الأسمى فى النفس وقالوا أن كل إنسان يمكنه تحقيق سعادته الخاصة بإرادته مهما كانت الظروف، ولكنه يرد عليهم بأنه لو كان الأمر كذلك لكان كل الناس سعداء وهذا ما يكذبه الواقع. فالسعادة لا تتعلق بالجسم ولا بالروح ولكن بمعرفة الله التى عى المعرفة الوحيدة التى تحقق السعادة المرجوة، لأنها تفترض ثبات الموضوع واستقلاله عن تقلبات الحظ والفساد والزوال وهذا لا يتحقق إلا فى الله.

وعن الإنسان الذى يهتم بتحصيل العلوم والمعارف الدنيوية دون أن يعرف الله : (ما أشقى الإنسان الذى يعرفها كلها ويجهلك؛ وما أسعد من يعرفك وإن كان يجهلها؛ فمن يعرفك ويعرفها لا يسعد بها بل يسعد بك أنت وحدك). (٣)

كان أثر الفلسفة الأفلاطونية الحديثة عميقاً في فكر أوغسطينوس الفلسفي واللاهوتي، ولكنه لم ينقد له انقياداً أعمى، وقد لخص موقفه بقوله : أدرك لكى تؤمن وآمن لكى تدرك

---

(١) - عبد الرحمن بدوى , مرجع سابق , ص ص٢٥ -٢٦.

(2) – Luigi Gioia , OSB , The Epistemology Of Augustine s De Trinitate , Oxford University Press , U. K. , 2008 , P; 290.

(٣) – أوغسطين , الإعترافات , ترجمة : الخورى يوحنا , ط٣ , دار المشرق , بيروت , لبنان , ١٩٨٨م , ص٨٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(Intelligas Ut Crede Credas Ut intelligas:)، فجعل الحقائق التي وجدها في الأفلاطونية الحديثة في خدمة الايمان كما سيفعل توما الأكويني بالتصورات العقلية التى وجدها عند أرسطو. ولكن تعبيرات أوغسطينوس هى دون تعبيرات الإكويني دقة ووضوحاً ولاهوته ليس من النوع الذي عرف منذ السكولاستيكية، وإن ترك لمن بعده موقفاً جليلاً، وحقيقة لم تأت عليها الأيام، ولم تفرغها من مضمونها التطورات التي حدثت عبر العصور في البحوث التجريدية والتأملات النظرية. من ناحية تاريخ الفكر والحضارة يعد أوغسطين رائداً للفكر الحديث لا خاتمة الثقافة القديمة، فتح الباب واسعا أمام الباحثين من بعده. (١)

ثانياً : نظرية المعرفة لدى القديس بونا فنتورا(*):

يذهب القديس بونا فنتورا إلى أن العقل يعطينا اليقين، لذلك يجب تدمير كافة الأشياء الأخرى المخالفة للعقل، لأن يقين الحقيقة هو الذى يبقى. وارجع كل المعارف إلى القانون الباطنى والعقل الباطنى اللذان يعدان عنصرين هامين وأساسيين فى تكوين نظرية المعرفة عند القديس بونافنتورا. (٢)

يقال عن مذهب القديس بونافنتورا : (أن الفلسفة واللاهوت والتصوف امتزجت فيه دون أن تختلط). لأنه رأى أن الفلسفة لا تكفى وحدها لحل بعض المسائل ولابد لها من اللاهوت، وهذا بدوره قد لا يكفى فيحتاج إلى التصوف. ويتضح هذا من نظريته فى المعرفة.

فقد قسم بونافنتورا المعرفة إلى ثلاثة أنواع :

١ – معرفة حسية : وهى التى تدرك الأمور المادية بواسطة الحواس.

٢ – معرفة عملية : وهى المعرفة التى تستند إلى التجريد العقلى.

٣ – معرفة حكمية : وهى التى تستعين بالإشراق الإلهى.

---

(١) – المطران كيرلس سليم بسترس , الأب حنا الفاخورى , الأب جوزيف العبسى البولسى , تاريخ الفكر المسيحى عند آباء الكنيسة , ط١ , منشورات المكتبة البولسية , بيروت , لبنان , ٢٠٠١م , ص ٧٤٧.

(*) – (Saint Bonaventure) , (١٢٢١ – ١٢٧٤م) فيلسوف ولاهوتى مسيحى من أصل إيطالى ناطق باللاتينية , ينحدر من أسرة نبيلة , يلقب (بالعالم السرافى) ولقب بونافنتورا الذى عرف به , فقد أطلقه عليه القديس فرنسيس الأسيزى عندما كان طفلاً. اعتنق مذهب أرسطو في بداية تطوره الفكرى كما تشهد بذلك نقوله الكثيرة عن أرسطو فى مؤلفاته الأولى. ولكنه تخلى عنها فى مؤلفاته التالية. وفى باريس انخرط فى سلك الرهبنة الفرنسيسكانية وكان أستاذاً فى جامعة باريس فيما كان القديس توما الأكوينى يعلم فيها. وكان يميل إلى فلسفة القديس أوغسطين.
انظر : جورج طرابيشى , معجم الفلاسفة , ط٣ , دار الطليعة , بيروت , لبنان , ٢٠٠٦م , ص٢١٢.
وأيضاً : عبد الرحمن بدوى , موسوعة الفلسفة , ج١ , ص٣٨٣.

(2) – Mary Rached Dady , Theory Of Knowledge Of Saint Bonaventure , America Press , U. S. A , 1939 , P; 73.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعرفة الحسية لا تتم بمجرد انتزاع النوع من مدركات الحس، لأن النفس فعالة وليست منفعلة فقط فى حالة المعرفة الحسية، بناء على المبدأ الميتافيزيقى الذى يقول : (أن الأدنى لا يمكن أن ؤثر فى الأعلى).

والمحسوس أدنى من النفس لأنه مادى بينما النفس روحية. والذى يحدث فى المعرفة الحسية هو أن العضو الحاس ينفعل أولاً بالأجسام، ثم ترد النفس هذا الفعل فتقوم بنشاطها الذاتى، وذلك بتكوين الأنواع والكليات بوجه عام. ولا توجد فى النفس معرفة فطرية. ولهذا يقول : أن العقل مثل لوحة بيضاء (Intellecus Est Sciut Tabula Rasa).

ويستند بونافنتورا إلى ما يقوله أرسطو عن التجريد ولكنه لا يأخذ بالتمييز الأرسطى – وفى اثره تفسير ابن سينا – بين العقل المنفعل والعقل الفعال، لأنه لا يريد أن يتصور العقل منفعلاً خالصاً، ولهذا يقول أن كليهما يؤثر فى الآخر فعلاً وانفعالاً، وليس أحدهما إنفعالاً خالصاً، ولكن إدراك الحقيقة لا يتم فى نهاية الأمر إلا بواسطة (نور غير مخلوق) هو الإشراق الإلهى على النفس، ومعرفة الله تأتى من حيث هو علة فاعلية وعلة نهائية للموجودات : فبوصفه علة فاعلية يمنح الوجود العقلى، وبوصفه علة غائية يحرك القوة على الفعل. ولهذا فإن الإشراق ينحل إلى الرؤية فى العلل الأزلية (Visio In Rationibus Aeternis).

فالنفس، فى كل فعل من أفعال المعرفة تحيل الشئ إلى العلة الأزلية، إلى قيمته المطلقة الثابتة فى الوجود المطلق، وهو الله، أى فى صورته النموذجية (Idea Exemplaris) والغائية هى التى تقود الصيرورة فى العقل. (١)

ورأى أن جميع البشر يمتلكون (معرفة نورانية) باطنية وأن هذا النور هو نور المعرفة البشرية التى ترسل لنا ثلاثة إشعاعات أساسية وهى : الوحدة، والحقيقة، والألوهية.

وتلك الأشعة تشع وتشرق بإستمرار بلا خفوت وذلك لتحقيق عنصر اليقين فى المعرفة الإنسانية. وهذه الأشعة النورانية أو العقل الباطنى ليسوا هم موضوع المعرفة فى حد ذاتهم. ولكنهم يخدمون ويساعدون مثل النور وذلك من خلال توضيح الواقائع وتقييمها. فهي تسعد قطاعات العقل الإبداعية والصفات غير الضرورية مثل : الزمان والمكان وذلك حتى لا تخفى (الشئ ذاته) كما تقارن أيضاً بنموذج فى عقل السيد المسيح لأن المعرفة الأولية للعقل الباطنى معطاة لنا من المسيح ذاته لذلك فمن الضرورى الوصول إلى الفهم الكامل والتام للحقائق التى للمسيح ذاته.

---

(١) – عبد الرحمن بدوى , موسوعة الفلسفة , ج١ , ص ص٣٨٣- ٣٨٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويخلص بونافنتورا إلى أن العقل لابد له التعاون مع (سيده الباطنى) الذى هو السيد المسيح فى كل تصرفاته وافعاله حتى نستطيع تحصيل المعرفة. لأن نور المسيح ذاته هو الذى يدعم ويتوافق مع نور المعرفة الإنسانية وهذا يمكنه فعلاً أن ينير لنا طريق الحقيقة. ونجد أنه على ضوء النور الباطنى للمسيح فإن العقل البشرى يمكنه أن يستنير مباشرة من خلال المعرفة الإلهية لله من خلال ثلاث طرق رئيسية وهى :

(١) – النور الخارجى.

(٢) – النور الداخلى.

(٣) – النور الأعلى أو الأسمى.

وذلك لأن العقل يلزمه النور الإلهى الربانى حتى يساعده ويعاونه فى كل مجهوداته لإستقبال الحقيقة من خلال هذا النور السامى.

ويؤكد القديس بونافنتورا أنه لا يمكننا أن نفهم شئياً على الإطلاق إلا إذا أنار لنا الله موضوع المعرفة من خلال الحقيقة الإلهية الباطنية. (١)

ويرى أن للنفس معرفتين أو عقلين :

١ - **عقل أدنى**: فهي تتجه بجزئها الأدنى نحو المحسوسات.

٢ - **عقل أعلى**: وتتجه به نحو ذاتها ونحو الله.

فليست كل معرفة آتية من الحواس، وإذا كان أرسطو قال : إنه ليس يوجد في العقل إلا ما سبق وجوده في الحس، فيجب أن يقصر هذا على الأشياء التي توجد صورها في النفس على نحو مجرد، العقل المنفعل يتجه إلى الصور الخيالية، ويجرد بمعونة العقل الفعال، فيقدم المعاني للعقل الفعال يتأملها، فبونافنتورا يصطنع نظرية العقل، ليكمل بها مذهب أوغسطني في معرفة الماديات، ليفسر ما لدينا عنها من معان مجردة، ولكنه يخلط بين الوظيفتن المجردة والمتعقلة.

ويضع العقل في النفس ويقول : صحيح أن الله هو النور الذي ينير كل إنسان، وأنه الفاعل الأول في كل فعل مخلوق، ولكن النفس ليست منفعلة فحسب، فإن الله منح كل مخلوق قوة فاعلية يحقق بها فعله الخاص، هذا عن العقل الأدنى.

أما العقل الأعلى : فموضوعه الأشياء المفارقة للمادة، كالله وصفاته والنفس وأفعالها، ونجد أن هناك مبادئ تطبق على المحسوسات، حدودها مكتسبة بالحس، ولكن

(1) – Lydia Schhumacher , Divine Illumination , PP ;141-142.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النسبة بين الحدود تدركها النفس من تلقاء ذاتها، فهذه مبادئ فطرية بالإضافة فقط، وهناك مبادئ عقلية بحتة، ترجع إلى العقل الأعلى من حيث حدودها والنسب بينها، مثل أنه يجب احترام المبدأ الأول «الله» فوق كل شيء، ويجب تصديق الله الحق بالذات، ويجب إيثار الخير الأعظم على كل خير.

هذه المبادئ يدركها العقل في النفس، لأنها فطرية إطلاقًا، وهي أعلى من النفس، يحكم بها العقل ولا يحكم عليها، وليس أعلى من النفس سوى خالقها، فهذه المبادئ مطبوعة في النفس من الله، ودالة عليه.

ويذهب إلى أننا إذا حللنا أفعالنا العقلية — نظرية وعملية — وجدناها تنتهي إلى الله، فمن جهة النظر ننتهي إلى الله في التصور والحكم والاستدلال، أما التصور فهو إدراك حد الشيء، وكل حد فهو بمعان أعم من المحدود، فما يزال العقل يرتقي في سلم المعاني حتى يصل إلى أعلاها وأعمها وهو معنى الموجود بذاته، وعلى ذلك فالله هو ((المعلوم الأول)).

فيجب أن تقوم الحقيقة والضرورة على ما للأشياء من حقيقة ضرورية في الله نموذجها. أما من جهة العمل، فإن العقل حين يبحث عن خير الوسائل لتحقيق غاية ما، أي عما هو أقرب إلى الخير الكامل، فهو حاصل بالضرورة على معنى الخير الأعظم منطبعاً فيه، أما الخير الأعظم بالذات أو الله، فلا نحصل عليه إلا بالإستدلال.

ويستخلص القديس بونافنتورا من بحثه هذا أن العقل الإنساني متصل بالحقيقة الدائمة، ولكن هذا الإتصال ليس اتصالاً بذات الله أو رؤية مباشرة — كما سيذهب إليه مالبرانش وأتباعه — وإنما هو اتصال بفكرة الله المنطبعة في النفس، أو إعداد الله للنفس إعدادا ذاتياً بملكة أو هيئة تؤهلها لهذا الإدراك، ومتى كانت فكرة الله مدركة في النفس بإعتبارها الأساس الذي تقوم عليه أفعالنا العقلية — كانت هذه الفكرة موضوعية. (١)

ورغم أن الله ذاته بعيداً عن الإدراك الكامل فأن بونافنتورا يؤكد أن الله اقرب إلى العقل حتى من العقل ذاته. فحينما يفكر العقل فى قواه فأنه يفكر فى الله بدون وعى.

وفى نفس السياق فإن الأكثر من ذلك أن العقل يعجز عن الإمتناع عن التفكير فى الإتجاه نحو الله. فالله ينير ويشرق على العقل الإنسانى وذلك يحدث بطريقة لا يمكن ايقافها أو منعها من الحدوث وذلك بوضع مفاهيم متعالية أو ترانستدالية فى العقل.

---

(١) – يوسف كرم , مرجع سابق , ص ص١٢٢, ١٢٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه المفاهيم والموضوعات الإنسانية تعتبر بمثابة أساساً للمعرفة الحقيقية فى داخل الإنسان وأيضاً فى العالم الخارجى. ويقر بونا فنتورا أن كافة المعارف المستقبلة من خلال الأنوار الداخلية (الباطنية) والخارجية لابد من رجوعها ثانية إلى النور الإلهى الأسمى.

والذى يتصل بالكمال والحكمة الإلهية وإذا درست العلوم من خلال العالم الخارجى مثل : (الهندسة – الطب - الدراما). أما الفلسفة فهى تحقق يقينها عن طريق العقل البشرى مثل : (الفلسفة الطبيعية – الفلسفة العقلية – الفلسفة الأخلاقية). فلا تقيم من خلال الرجوع إلى النور الإلهى الأعلى. ولذلك فأى دراسة في هذه الفلسفات فيهم لن ينتج عن الحكمة وسوف يفشل فى إنارة الطبيعة الحقيقية للحقائق التى نضعها تحت الدراسة والتحقيق.

ولذلك فأننا إذا لم نعطى للسيد المسيح مكانته فى كافة نواحى الدراسة فلن يكون لها أى معنى بأى حال من الأحوال. لذلك فإن الناس المؤمنين بتحقيق ودراسة المعارف والعلوم بعيداً عن محبة المسيح وحكمته ستضيع مجهوداتهم هباء.

وعلى العكس من ذلك تماماً فإن الذين يحبون السيد المسيح ومؤمنون بأن محبته أسست لها شواهد كثيرة فى العالم بصور مختلفة ومتنوعة فى تحقيق المعرفة ونجد أنهم يحققون هدفهم وغايتهم فى معرفة الحقيقة. لأن معرفة الحقيقة متحدة بالحب الإلهى وفى هذه المرحلة يكون العقل الإنسانى أعمى ومظلم لعجزه وعدم قدرته على البحث والإستقصاء وفى هذا السياق اللحظى فإن بونافنتورا يؤكد أن العقل أخيراً (يحمل عالياً كل حس وكل عملية عقلانية).

فالعقل يدخل إليه الشعاع الإلهى النورانى الذى ينير ظلامه بنور العلم والحكمة الإلهية. [١]

واهتم بونافنتورا بوضع الله فى المرتبة الأولى بإعتباره سبباً وأساساً للمعرفة شأنه فى ذلك شأن القديس أوغسطين. ٢

(1) – Lydia Schumacher , Op. Cit , pp: 142-143.
(2) – Ryan N. S. Topping , St. Augustine , Bloomsbury , London – Newyork , 2010 , P; 126.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثاً : القديس أنسلم الكانتربيرى(*):

يذهب القديس أنسلم إلى أنه لابد من البدء أولاً بالإيمان وأن العقل ليس بأسبق على اللإيمان، وأن العقل وحده لا يمكن أن يؤدى إلى الإيمان. ولكن من ناحية أخرى لابد لنا من تعقل مضمون هذا الإيمان.

فيقول : (أننى لا ابحث من أجل الإيمان، بل أننى أؤمن لكى اتعقل). ونلاحظ هنا أن القديس أنسلم لم يضع للتعقل حداً معيناً يقف عنده ولا يتخطاه ولكنه جعل كل من ميدان العقل وميدان الإيمان مختلطين. واهتم بتعقل الإيمان ورأى أنه لابد من البدء أولاً بالإيمان وليس العقل لأنه لا يستطيع وحده أن يؤدى بنا إلى الإيمان.

فإذا رأينا أن مضمون الإيمان يمكن تعقله فعلى الرأس أن ينحنى وعلى العقل أن يؤمن، وإذا رأينا أن العقل لا يمكنه الإيمان ببعض الأشياء، فعلى الرأس أن ينحنى وعلى العقل من جديد أن يؤمن. فالمرجع فى النهاية عند القديس أنسلم إلى الإيمان. (١)

واعتمد على سلطة العقل الإنسانى وحده فى تحصيل المعرفة وأدى به ذلك إلى نتائج مطابقة للكتاب المقدس ولآباء الكنيسة الكبار وخاصة القديس أوغسطين.

وكان القديس أنسلم أول من إستطاع التعبير عن مضمون الإيمان معتمداً على العقل وحده فهو يؤمن بالقدرة المطلقة للعقل على تفهم الإيمان واستيضاح الحقائق والمعارف، بل إنه حاول تفسير العقائد المسيحية التى يراها آباء الكنيسة أسراراً تفوق قدرة العقل البشرى تفسيراً عقلياً، فوضح ضرورة التثليث والتجسد.

ثم أتى القديس توما الأكوينى ووضع هذا السؤال نفسه بعد ذلك بقرنين من الزمان ليجعل للعقل ميدانه وللإيمان سره ويعيد العقائد المسيحية، التى حاول أنسلم تفهمها، إلى الميدان الإيمانى وإلى مقولة السر المقدس. (٢)

(*) – (Saint Anselm De Cantorbery) (١٠٣٣ - ١١٠٩م) , هو أشهر لاهوتي إيطالى فى القرن الحادى عشر. من أبرز فلاسفة العصور الوسطى الأوروبية , وانحدر من أسرة نبيلة عريقة النسب , عاش فى فترة حافلة بالصراع بين السلطة المدنية والدينية. عين رئيساً لأساقفة كانتربرى فى عام ١٠٩٣م وشغله حتى وفاته فى عام ١١٠٩م. وترجع شهرته إلى دليله الأنطولوجي الذى قدمه لإثبات وجود الله فى كتابه المعنون (بروسلوجيوم) أى مقال أو عظة. وبعد ذلك أصبح هذا الدليل موضع جدل فى العصر الوسيط , إذ رفضه توما الأكوينى بدعوى إنه ليس بصحيح أن الناس كلهم يعقلون الله على إنه الموجود الذى لا يتصور أعظم منه. ومع ذلك فقد ايده ديكارت فى القرن السابع عشر ورفضه كانط فى القرن الثامن عشر. وعكف على دراسة أعمال القديس أوغسطين وتشبع بها , وتعتبر فلسفته بمثابة روح القديس أوغسطين ولكنها معروضة عرضاً فكرياً جديداً فى القرن الحادى عشر بعد ظهور الجدل كمنهج للتفكير فى تلك الفترة من العصر الوسيط , ولقب (بمعلم الكنيسة) من قبل البابا كليمنضوس السادس. ومن أهم مؤلفاته : مناجاة النفس - العظة – الدفاع.
انظر : جورج طرابيشى , معجم الفلاسفة , ص١٠٢-١٠٣.
و : مراد وهبه , المعجم الفلسفى , دار قباء الحديثة , القاهرة , ٢٠٠٧م , ص١٠٨.
وأيضاً : حسن حنفى , مرجع سابق , ص١٠٦.

(١) - عبد الرحمن بدوى , مرجع سابق , ص ص٦٧, ٦٨.
(٢) – حسن حنفى , مرجع سابق , ص ص١٠٧, ١٠٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويذهب أنسلم إلى أن الله هو مبدأ الوجود والحقيقة أيضاً، فهو علة وجود الفكرة التى تجدها النفس فى ذاتها، إنه الحقيقة العليا، ومصدر لكل الأشياء الحقيقية. فيقول : (ألا يكون عظيماً هذا النور الذى تنبثق منه كل حقيقة تبهر النفس العاقلة، ألا تكون شاملة تلك الحقيقة التى يوجد فيها كل ما هو حق ولا يوجد خارجها إلا العدم). (١)

ونلاحظ تأييد ودعم القديس أنسلم للنظرة اللاهوتية الأوغسطينية حول نظرية الإشراق الإلهى فى المعرفة. ويقول إنه حصل على أدواته المعرفية بواسطة الإشراق والإستنارة الإلهية التى اعطته اليقين المعرفى. وإنه وضع نظريته فى الإشراق لمساعدة هؤلاء الذين يسعون إلى زيادة الإشراق فى داخلهم ويعرفه انه ببساطة تجديد صورة الله فى النفس والقلب.

لذلك عرض القديس انسلم مصادره المعرفية فى شكل حجة مختلفة تماماً عن حجة أوغسطين وفى القرن الحادى عشر الميلادى وضع القديس انسلم مبدأه الشهير : (تعقل الإيمان) ليصب اللاهوت فى قالب وسياق فكرى عقلانى فى نفس الوقت ولكنه يتفق مع القديس أوغسطين فى الدافع الإيمانى اللاهوتى. (٢)

ويرى القديس أنسلم أن المعرفة تحدث من خلال التعاون والاشتراك بين كل من العقل الإنسانى والحس معاً ويتم ذلك من خلال نوع معين من الإشراق أو الإشعاع الذى تحدث عنه القديس أوغسطين. (٣)

ويتفق مع القديس أوغسطين فى القول بنظرية الإشراق فيقول إنه بلغ مرحلة التعقل بفضل العناية الإلهية والنور الإلهى، فالنفس تصل إلى تعقل كل ما آمنت به من قبل بفضل الإشراق الذى ينيرها ويأتيها من الله مباشرة. ويقول : (شكراً لك يا ربى، عما وهبتنى الإيمان به من قبل، أعقله الآن بنورك). ونلاحظ أن هذه النتيجة توافق ما قاله القديس أنسلم فى بداية برهانه الأنطولوجى على وجود الله من أن البحث ذاته يتم بفعل العناية الإلهية.

ويقول : (أنا لا أستطيع أن أبحث عنك إن لم تعلمنى ذلك ولا أستطيع أن أجدك إن لم تكشف لى عن نفسك). لذلك يقول كما قال القديس أوغسطين من قبل : (علمنى البحث عنك واكشف عن نفسك لمن يبحث عنك). (٤)

---

(١) - أنسلم , بروسلوجيون , ترجمة : حسن حنفى , دار التنوير , بيروت , لبنان , ١٩٨١م , ص١٦١.
(2) – Lydia Schumacher , Op, Cit. , P; 19.
(٣) – عبد الرحمن بدوى , مرجع سابق , ص ٧٧.
(٤) - أنسلم , بروسلوجيون , ص١٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعاً : القديس توما الإكويني(*):

ذهب أفلاطون إلى أن النفس تأتى إلى العالم المحسوس وفيها صور المعقولات، وكلما عرض لها إحساس بشيء تذكرت الصورة المعقولة المقابلة له، ويذكر عن أوغسطين قوله : إننا ندرك الأشياء في الحقائق الأزلية.

متى حاولنا أن نتعقل شيئا على سبيل أمثلة نتمثل فيها ما نحاول تعقله، ومتى أردنا إنساناً على أن يتعقل شيئ أوردنا له الأمثلة الخيالية، ليستعني بها على التعقل، وبهذا الالتفات إلى الصور الخيالية يدرك العقل الجزئيات أيضاً، ولكن بالتبعية وبنوع من الإنعكاس على ذاته، فريكب هذه القضية مثلاً : سقراط إنسان.

فالإتصال وثيق بين العقل والحس، وأن العقل الإنساني، وإن كان داخلاً في جنس العقل بالإطلاق، ليس عقلاً ملائكياً، ولكنه عقل معادل لماهية الإنسان يستفيد المعقولات من المحسوسات، فمن حيث هو عقل إنساني فله موضوع خاص معادل له هو ماهية الشيء المحسوس، فلا بد من وجود قوة في النفس تجرد الماهية من علائقها المادية المتمثلة في الصورة الخيالية الحاصلة عن الإحساس، فتجعلها معقولة بالفعل، وقوة أخرى تتعقلها، القوة الأولى تسمى عقلاً فعالاً، وتسمى الثانية عقلاً منفعلاً، وقد قال أرسطو : «كما أن في كل طبيعة شيئاً به تنفعل، وشيئاً به تفعل، كذلك في النفس أيضاً» بحيث إن الطبيعية التي يعرض لها التجرد لا توجد إلا في الأفراد، وأما التجرد وما يلحقه من معنى الكلية فهما من العقل وفي العقل وقد قال أرسطو : إن أول ما يحصل في تصور العقل هو الوجود، لأن كل شيء إنما يكون معلوماً من حيث هو موجود بالفعل، إذن العقل الإنساني يدرك الوجود في كل ما يدرك ؛ لأن كل مدرك بالفعل فهو موجود بالفعل وجوداً عينيّاً أو ذهنيّاً.

هذه المبادئ الأولى للوجود وللمعرفة يدركها العقل بداهة حاملا يجرد حدودها من التجربة، فإنها بينة بذاتها لا يحتاج إدراكها إلى حد أوسط، وبهذا املعنى يقال : إنها فطرية أو غريزية، لا بمعنى أنها موجودة في النفس قبل كل تجربة وكل تعقل، فيعتمد عليها العقل لتفهم الوجود وإقامة العلم بإطلاقه، العلم الطبيعي، وما بعد الطبيعي. ولا وجه بعد ذلك ملا ذهب إليه بعض المتصوفة والأوغسطينين من أن لنا قوة عقلية أخرى تدرك الروحانيات في أنفسها، بحجة أن ليس للروحانيات صور خيالية، وأننا نعقلها مع ذلك.

(*) – (Saint Thomas Aquinas) , (١٢٢٤- ١٢٧٤م) , هو فيلسوف ولاهوتى من أصل إيطالى , كتب باللاتينية. ولقب (بالمعلم الجامع) للكنيسة وكذلك (بالمعلم الملائكى). شغل حياته بالتدريس الجامعى للاهوت فى باريس أولاً ثم فى مدارس الإدارة البابوية وفي دير سانت سابينا بروما ثم أخيراً فى نابولى وانصرف للتعليم حتى نهاية حياته عام ١٢٧٤م. وترك مجموعة من المؤلفات الأصيلة الكبرى تتمثل فى الخلاصتين : الخلاصة فى الرد على الأمم , والخلاصة اللاهوتية والشروح على أرسطو وكتاب العلل.
انظر : جورج طرابيشى , معجم الفلاسفة , ص ص٢٤١ – ٢٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحق أننا ندرك وجود الله بالاستدلال، وندرك ماهيته بالتنزيه والمماثلة، أما النفس فلسنا نعقلها مباشرة، بل نعقلها من خلال التعقل، لأن الشيء إنما يدرك من حيث هو بالفعل، وليس العقل الإنساني عقلا بالفعل ولكنه بالقوة، فلا يعقل إلا متى خرج إلى الفعل، وحينئذ نلاحظ طبيعة نفسنا من خلال تحليل فعل التعقل ذاته. (١)

رفض القديس توما الإكوينى كلاً من النظرية الأفلاطونية فى التذكر والنظرية الأوغسطينية فى الإشراق أو الإشعاع وذلك لأنه رأى أن كل منهما تفسر إمكانية المعرفة من خلال ترك وظائف الحواس جانباً فى عملية المعرفة، ومن ناحية أخرى لا يمكن أن تحل المشكلة بالذهاب إلى العكس المتطرف تماماً. من خلال التأكيد على أن ما يمكننا معرفته هو ما يقدم للحواس فحسب. (٢)

أدرك الإكوينى من خلال وجهة نظر فلسفية أن نظرية المعرفة الأرسطية أكثر صلابة من النظرية الأوغسطينية فحاول بيان نقاط الضعف بها وتوضيح قوة النظرية الأرسطية فى المعرفة واصبح داعماً قوياً لها.

فالعقل الإنساني مجرد ومستدل، وهاتان علامتا نقص، ولكن أحكامه على الموجودات جميعاً صادقة ؛ لأنها قائمة على المبادئ الأولى، هذه المبادئ بمثابة صورة من الحق الإلهي منعكسة على النفس، بحيث يصح القول مع الأوغسطينين بأننا نرى الأشياء في الحقائق الأزلية، أو بإشراق إلهي. ولكن بمعنى أن العقل يرى ما يرى في ضوء تلك المبادئ، فيكون الله هو : (النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آت إلى هذا العالم)، بإعتباره العلة الكلية التي تستمد النفس منها القوة على التعقل، ويكون عقلنا الفعال بمثابة الإشراق الإلهي أو المشاركة في النور الإلهي.

وهكذا يقف القديس توما موقفاً متيناً قوياً هو الوسط الصحيح بين كل من الأفلاطونين الذين يزعمون أننا ندرك الروحانيات إدراكاً معادلاً لها، والحسيين الذين يدعون أن لا سبيل لنا إلى العلم بها أصلا ً ، فيقول بل نحن نعلمها علماً يقينيًّا، ولكن بالتجريد والإستدلال على ما تطيق طبيعتنا البشرية المركبة من نفس وجسم. (٣)

ونلاحظ أن القديس توما الأكوينى تجاهل الأفكار الأوغسطينية التقليدية حول المعرفة بما فيها نظرية الإشراق والدليل الأولى على وجود الله وذلك لمصلحة النظرية الأرسطية فى المعرفة. وتقوم نظريته الخاصة على المعرفة الشائعة التى كان داعماً

---

(١) – يوسف كرم , مرجع سابق , ص ١٥٧.

(2) – W. T. Stace , Op. Cit. , P ; 275.

(٣) - يوسف كرم , مرجع سابق , ص١٥٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالقديس أنسلم. كما أنه أيد مواقف القديس أوغسطين اللاهوتية ودعمها. ولكن الاختلاف أن الإكوينى قدم هذه المواقف اللاهوتية بدقة وتحديد اكثر مما فعل اوغسطين. ولذلك نستطيع ان نقول ان القديس توما الإكوينى فى المواضع المختلف عليها كان لاهوتياً أوغسطينياً. (١)

أعطى الإكوينى شكلاً جديداً لنظرية الإشراق الأوغسطينية من خلال تطعيمه لنظرية التجريد الأرسطية بنظرية الإشراق(٢).

ويسأل القديس توما الإكوينى : كيف يمكننا أن نفهم مبادئ العلوم المختلفة ؟ ويجيب بأنه لابد ان يكون هناك إمكانية عملية لنا حتى نعرف تلك المبادئ معرفة افضل من معرفة نتائجها التى تنتج عنها. وذلك لأن فهمنا لها لا يقوم على أساس من الكشف الإلهى ولكن على القدرات المعرفية العقلية الطبيعية للإنسان. (٣)

ادرك القديس توما الإكوينى من خلال وجهة نظر فلسفية ان نظرية المعرفة الأرسطية اكثر متانة وصلابة من النظرية الأوغسطينية واصبح داعماً قوياً لها، فحاول توضيح نقاط ضعف نظرية الإشراق الأوغسطينية وبيان قوة نظرية التجريد الأرسطية.

ويرى انه بدون الصور الخيالية التى للمخيلة لا تكون المفاهيم والإفتراضات العلمية ممكنة لنا وهذا حقيقى لان النفس بدون الصور المتخيلة لن تكون قادرة ليس فقط على المتطلبات العلمية ولكنها أيضاً لن تستطيع إعادة تقييم وإدراك الأشياء التى تعرفها أساساً. وطبقاً للقديس توما فإن هذه الطريقة للمعرفة تتفق تماماً مع الطبيعة الإنسانية وذلك لسببين:

أولاً: بما أن العقل الإنسانى قادر على التفكير فى اية فكرة بالنظر الى قدراته وقوته فبنفس الطريقة فإن المادة لديها قوة وقدرة فى كافة الصور و الأشكال للتحول من القوة إلى الفعل. فالعقل يستطيع استقبال صور الأشياء ويحدث هذا من خلال عمل الحواس الخمس والمخيلة معاً.

ثانياً: طالما أن النفس هى صورة الجسد فإن وظيفتها وعملها يكون للإنسان كله بما فى ذلك الجسم. (٤)

ومن أهم النتائج التى توصلت إليها جراء هذه الدراسة ما يلى :

---

(1) – Lydia Schumacher , op. cit. , P; 22.

(2) – Ryan N. S. Topping , Saint Augustine , P; 127.

(3) – John I. Jenkins , Knowledge And Faith In Thomas Aquinas , Cambridge University Press , U. K. , 1997 , P; 5-6.

(4) – Battista Mondin S. X. , Op. Cit. , Chapter Three.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: اتخذ القديس أوغسطين (Saint Augustine) من الله ذاته الركيزة الأساسية فى نظريته فى المعرفة (الإشراق) التى استقاها من الأفلاطونية المحدثة فذهب إلى أن الله وضع مجموعة من المبادئ أو الحقائق الأزلية الأبدية فى النفس وهى أسمى من العقل الإنسانى ذاته وتتصف بالثبات والأبدية والضرورة وتستوجب وجوداً يسمو على العقل الإنسانى ووجود حقيقة باقية وخالدة وغير مخلوقة.

فتوصل إلى ضرورة وجود كائن أبدى أزلى كامل وثابت هو الله ذاته. ونجد أن وجود الله أمر بديهى لا يحتاج إلى برهان أو دليل عند القديس أوغسطين. فالله هو النور الأزلى اللامتناهى الذى يعطينا العون والقدرة على إدراك الحقائق الأبدية لأنه هو (النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آت إلى العالم).

ونلاحظ أنه بدأ بالإيمان وإنتهى بالإيمان فيقول : (أؤمن كى أعقل) و(إن لم تؤمنوا فلن تفهموا)، وقدم اللاهوت على الفلسفة ورأى أن الله هو الحقيقة ذاتها الكاملة والمعقولة والضرورية والخير الدائم المطلق وهو المعلم الأول الباطنى الذى ينير النفوس حتى تستطيع إدراك وفهم الحقائق.

ونظريته فى الإشراق تفترض العناية الإلهية وتفترض فاعلية عمل النفس التى تبذل مجهوداً فى الإرادة والبحث والتأمل وهى فى نفس الوقت لا تلغى عمل العقل ودوره فى تحصيل المعرفة ولا تلغى المعرفة الحسية فلاإحساسات توجهنا نحو النور الداخلى الذى يضعه الله فى النفس الإنسانية التى لديها القدرة والرغبة فى المعرفة اللإلهية. يعتبر القديس أوغسطين من أكثر الفلاسفة تأثيراً على مسار الفكر الفلسفى واللاهوتى أيضاً فى العصر الوسيط بآرائه وأفكاره التى استلهم واستمد منها العديد من الفلاسفة أفكارهم ونظرياتهم. فنظريته فى الإشراق الإلهى أو الإشعاع تأثر بها كل من القديس أنسلم الكانتربيرى والقديس الفرنسيسكانى بونا فنتورا فى القرن الثالث عشر.

ثانياً: القديس بونافنتورا (Saint Bonaventure) سار على نفس نهج القديس أوغسطين حين جعل الموضوعين الأساسيين للمعرفة هما : الله، والنفس. فيقول أن من يجهل نفسه لم يقدر القيمة الحقيقية لأى شئ ويكون فى حالة من الجهل التام.

وهو من أكبر ممثلى التيار الأوغسطينى فى القرن الثالث عشر ويعتبر البعض أن أعماله هى الخلاصة النهائية للأوغسطينية الوسيطية التى عارض بها التيار الأرسطى وخاصة مذهب معاصره القديس توما الإكوينى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال بإشراق إلهى للنفس الإنسانية ينيرها ويعينها على تحصيل المعرفة وأن معرفة الله هى الغاية النهائية من الفلسفة، لأنها تحقق للإنسان السعادة والخلاص وهو يحذو حذو أستاذه أوغسطين فى ذلك فيقول : تعيس هو الإنسان الذى يعلم كل شئ دون أن يعرفك يا إلهى. فإتجه فى بحثه فى المعرفة نحو معرفة الله.

وحدد لنظريته فى الإشراق ثلاث مراحل أساسية للوصول إلى المعرفة تبدأ بالمعرفة الحسية ثم معرفة النفس وتنتهى ببلوغ غايتها وهدفها بالوصول إلى الإشراق والإستنارة الإلهية.

ثالثاً: انتهج القديس أنسلم (Saint Anselm) نفس نهج القديس أوغسطين فقال بأسبقية الإيمان على العقل و دعا إلى الإيمان الباحث عن تعقل مضمونه. وأكد على أهمية تعقل مضمون الإيمان اللاهوتى وقدم لاهوتاً طبيعياً اعتمد فيه على نور ومبادئ العقل الإنسانى بدون أن يلجأ إلى مضمون الإيمان، ولم يفصل بين العقل والإيمان فبحث كمفكر وفيلسوف عن إجابات على أسئلة وإستفسارات الإنسان المؤمن حول الإيمان.

وهو يتفق مع القديس أوغسطين فى القول بنظرية الإشراق الإلهى فى النفس وذهب إلى أن الإنسان يبلغ مرحلة التعقل بفضل العناية الإلهية والنور الإلهى، فالنفس تصل إلى تعقل كل ما آمنت به من قبل بفضل الإشراق الإلهى الذى يأتى من الله مباشرة. فالله هو الحقيقة العليا ومصدر لكل الأشياء الحقيقية.

كان أثر القديس أوغسطين كبيراً على فلسفة القديس أنسلم وأفكاره وجعل من المبدأ الأوغسطينى (آمن لكى تتعقل) أساساً وقاعدة قوية لكل فلسفته.

رابعاً: أما القديس توما الإكوينى (Saint Thomas Aquinas) فذهب إلى أن المعرفة تحصل من خلال الاجتهاد العقلي عبر عمل كل من الحواس والمتخيلة وذلك استناداً إلى التجربة والاستدلال.

والعقل الفاعل يتلقى الإشراق من الله لكي تتم له معرفة المعقولات أي الماهيات المجردة. هكذا إن الإنسان يدرك الأفكار الروحانية بواسطة التذكر لأن هذه الأفكار موجودة فيه أصلاً إذ كانت النفس تعرفها قبل سقوطها إلى الأرض. كما يعارض الحسيين الذين ينفون عن العقل القدرة على إدراك المعقولات.

وجعل العقل الذي يخصبه الإشراق الإلهي، قادراً على إدراك كل المعقولات شرط أن يجتهد للحصول عليها عبر الإحتكاك المباشر بالعالم من خلال التجربة والإستدلال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اهتم القديس توما الاكوينى بالفصل التام بين الفلسفة والدين كوسيلتين لتحصيل المعرفة الإنسانية. ورأى أن الإيمان أسبق على المعرفة الطبيعية أو الإدراك البشرى الطبيعى. فالإيمان يُرسِّخ تراث الحقيقة الذى يكتسبه العقل البشري ويَدمجه ويُنيره. والثقة التي يوليها القديس توما لِهاتين الوسيلتَين من المعرفة - الإيمان والعقل – يمكن أن تعود إلى اقتناعه بأنَّ كليهما يعودان إلى المصدر الأوحد لكلّ حقيقة، "الكلمة" (اللوجوس) الإلهيّة، التي تعمل في إطار الخلق وإطار الفداء على حدٍّ سواء. وبالإضافة إلى التوافق بين العقل والإيمان، فهما يعتمدان على إجراءات معرفيّة مُختلفة. فالعقل يقتبل الحقيقة بحكم وضوحها الذاتيّ أمّا الإيمان، فيقتبل الحقيقة على أساس سلطان كلمة الله التي تُظهر ذاتها، فالإيمان يحمي العقل من كلّ تجربةِ عدم ثقة في قدراته ويحثّه على الانفتاح.

وليس الإيمان وحده من يساعد العقل. فالعقل أيضًا وبوسائله الخاصّة، يمكنه أن يقوم بشيء هامّ للإيمان، ولذلك فإن علاقة العقل بالنقل، أو علاقة الفلسفة بالدِّين تُحددها قناعة أساسية وهي أن الفلسفة لا بد أن تكون تابعة للدِّين، على أن تلتزم بالحقائق الإيمانية. ولذلك فقد وظَّف الفلسفة الأرسطية لشرح العقيدة المسيحية، وللدفاع عن حقائق الإيمان ؛ ولذلك فهو لاهوتي متفلسف.

وذهب إلى أن الدين أو اللاهوت المقدس يأتى فى المرتبة الأولى، فهو علم يبدأ من الله، ثم يأتى العقل فى اللاهوت الطبيعى فى المرتبة الثانية وهو المجال المشترك بين الفلسفة وعلم اللاهوت ؛ حيث تبدأ الفلسفة من عالم الخبرة لترتفع بالعقل حتى تصل إلى معرفة الله، وما تتوصل إليه من المعرفة بالله هو القدر الذى يمكن أن يُعرف به الله من قبل المخلوقات.

كما أكد على استقلالية العقل وتميزه، وكذلك تميز اللاهوت واستقلاليته ولكن رغم التوافق والتحالف بينهما، ولكن الفلسفة تظل فلسفة بمنهجها وتميزها وكذلك اللاهوت أيضاً، وهما فى النهاية بمثابة جناحين يحلقان بالإنسان إلى سماء الحقيقة التى هى الغاية النهائية سواء للفلسفة أو للاهوت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً : المصادر العربية والمترجمة إليها :

١- أنسلم، بروسلوجيون، ترجمة : حسن حنفى، دار التنوير، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٢- أوغسطين، الإعترافات، ترجمة : الخورى يوحنا، ط٣، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٣- ----------، المعلم، ترجمة : حسن حنفى، دار التنوير، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة إليها :

١- حسن حنفى، نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢- عبد الرحمن بدوى، فلسفة العصور الوسطى، ط ٣، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٣- على زيعور، أوغسطينوس مع مقدمات فى العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ط١، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٤- المطران كيرلس سليم بسترس، الأب حنا الفاخورى، الأب جوزيف العبسى البولسى، تاريخ الفكر المسيحى عند آباء الكنيسة، ط١، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

٥- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط، مؤسسة هنداوى، القاهرة، ٢٠١٤م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1- Battista Mondin S. X. ،St، Thomas Aquinas s Philosophy ; In The Commentary To The Sentences، Martinu Nijhoff، U. S. A.، 1975.

2- John I. Jenkins، Knowledge And Faith In Thomas Aquinas، Cambridge University Press، U. K.، 1997.

3- Luigi Gioia، OSB، The Epistemology Of Augustine s De Trinitate، Oxford University Press، U. K.، 2008.

4- Lydia Schhumacher، Divine Illumination The History And Future Of Augustines Theory Of Knowledge، Wiley – Blackwell، U. S. A.، 2011.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5- Mary Rached Dady، Theory Of Knowledge Of Saint Bonaventure، America Press، U. S. A، 1939.
6- Ryan N. S. Topping، St. Augustine، Bloomsbury، London – Newyork، 2010.
7- W. T. Stace، The Theory Of Knowledge And Existence، Clarendon Press، Oxford، 1932.

رابعاً: المعاجم والقواميس:

١- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٣م.
٢- جميل صليبا، المعجم الفلسفى، ج٢، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
٣- جورج طرابيشى، معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
٤- مراد وهبه، المعجم الفلسفى، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

خامساً : الموسوعات ودوائر المعارف :

١- أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة : خليل أحمد خليل، ط١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٩٦م.
٢- عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ط١، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com